رحلة العنوان من الكاتب إلى القارئ

Title journey from author to reader

نوال أقطي

سعاد طويل

جامعة محمد خيضر بسكرة ، naouel.naouel.agti@gmail.com

جامعة محمد خيضر بسكرة ، Souadtouil07@yahool.com

تاريخ الإرسال: 2021/05/31	تاريخ القبول:2021/07/05	تاريخ النشر: نوفمبر2022

الملخص:

لفت العنوان عناية الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة ، لكونه ذو أهمية بالغة، حيث يعد الفانوس المضيء لمعمارية النص، إذ منح لنفسه سلطة قلدته لإعلاء سلطة علمية أوسع، وذلك ما دفع كثيرا من المؤلفين إلى التخطيط المحكم في اختيار عناوين لها غوايتها الاغرائية التي تستفز القراء، من هنا **تسعى هذه الدراسة للبحث في رحلة العنوان بين الكاتب والقارئ للكشف عن تلك العلاقة التواصلية الجامعة بين عناصر العملية الإبداعية**

الكلمات المفتاحية: العنوان، النص ، الكاتب، القارئ، القراءة.

Abstract:

The title attracted the attention of contemporary literary and critical studies, because it is of great importance, as it is the lantern of light for the architecture of the text, as it gave itself the power to flip it to uphold a wider scientific authority, and this prompted many authors to carefully plan in choosing titles that have seductive temptations that provoke readers, from Here, this study seeks to research the title journey between the writer and the reader to reveal that cross-communication relationship between the elements of the creative process.

Key words: *title, text, author, reader, reading*

مقدمة:

العنوان هو نص التكثيف والاحتمال الذي يلقي بالقارئ في بهو الافتراض، فيثير ذهنه ويشد انتباهه، كما أنه الضرورة التي لا يمكن تخطيها عند بناء النصوص، ولكونه كذلك (احتمال وضرورة في الآن نفسه)، فهو جدل التحول القابع على تخوم الدلالة. و«جزء لا تجزأ من إستراتيجية الكتابة لدى الناص لاصطياد القارئ وإشراكه في لعبة القراءة، وكذلك بعد من أبعاد إستراتجية القراءة لدى المتلقي في محاولة فهم النص وتفسيره وتأويله، ومن هنا الحاجة الملحة لتحوز العنونة موقعا لها في خريطة النظرية الأدبية المعاصرة، فهي لا تفتأ تضج بإشكالاتها وأسئلتها أمام عتبات القراءة النقدية»[i].

ويشكل هذا النص الاختزالي «ظاهرة تواصلية تداولية تقضي التفاعل والمشاركة بين الكاتب والمتلقي، إن العنوان هو بمثابة التسمية ...ويجب أن تكون لهذه التسمية قوة إشهارية جارفة؛ لأن الهدف من العنوان هو الإبهار والتأثير لحمل القارئ على اقتناء الكتاب، وهنا تتدخل بقوة وظيفة الإغواء والحث»[ii]، لذلك يمارس نص العتبة الصغير هجرته من الكاتب إلى القارئ، ليعلن عن ميلاده المتجدد في تلك الرحلة، فإذا توقف العنوان عن الارتحال اغتال كينونته، وحكم على نفسه بالإعدام، ذلك أنه في مساره هذا يتخذ لنفسه دلالات مغايرة تمنحه أكسر البقاء.

وعندما يعلن موت المؤلف لا يجد العنوان مرسلا له، فيصبح من غير هوية، أما إذا تم فصله عن النص المنبثق عنه، فتلك قصة أخرى تلغي شاعريته وتمحو صفة الغواية والاغرائية عنه، بل وتسقطه في جيوب الغفلة، ومن ثمة يبدو العنوان ذو أهمية بالغة لكونه برزخا فاصلا بين الوجود والعدم، إنه المرشد الدال في رحلته وهو مشروع تأويل متسم بالمراوغة والتعدد الدلالي.

لذا تأتي هذه الدراسة لتتبع مسار الرحلة منتقلة بين كاتب العنوان وقارئه، متوقفة عند اختيار العنوان.

2. كاتب العنوان وقارئه :

ربما قُتل المؤلف حينما أعلن بارت وفاته بمقاله المعرف عام 1968م، والذي صرح فيه بأن «الأنا الذي يكتب أنا من ورق»[iii]، ليتحول الكيان الأسطوري إلى تمثال حجري صغير لا قيمة له .

هذا التحول كان قد أنطق " ويليام شيكسبير " **WILLIAM SHAKESPEARE** "، فقال:

لا تندبني بعد أن أموت

لا .. وحينما تقرأ هذا البيت

لا تتذكر اليد التي كتبته

ولأني أحبك كثيرا

فاني سأكون نسيا

منسيا في خواطرك الحلوة

إن كان تذكارك لي سيحيلك

وقتئذ إلى قارئ حزين[iv]

وعلى الرغم من هذا الاعتراف إلا أن العودة إلى قول الغذامي: « ليس القارئ سوى مؤلف ضمني للنص من حيث كونه حاضرا في ذهن المؤلف الفعلي حضورا كاملا »[v] يجعل موت المؤلف موتا للقارئ، وهو ما يمنع طمسه لكونه سوف يبقى مرسلا للنص، ولا يمكن قراءة النص بمعزل عمن كتبه؛ لأن النص العنوان هو« مرسلة صادرة من مرسل إلى مرسل إليه »[vi] لاسيما وأن « الكاتب في أصله قارئ ظل يمارس القراءة »[vii].

فتهميشه ما هو إلا تهميش للقارئ، لذلك وجب دراسة العنوان بين طرفين " **كاتب وقارئ** " كون الأول يسهم في عملية إبداع العنوان، أما الثاني فيعمل على استقباله لفك طلاسمه وصنع معناه كما أن بارت لا يعني « إلغاء المؤلف وانتزاعه من النص بقدر ما يهدف إلى تخليص النص من شروط الظرفية وقيودها »[viii] .

1.2 كاتب العنوان :

يرتبط العنوان بصاحبه الذي هو صاحب النص أيضا لاسيما بعد ظهور الطباعة، لكون العناوين وضعت قبل التدوين من طرف المفسرين والمحررين، بينما عرفت انتسابها بعض الشيء لصاحب النص بعد ذلك، ويرى " **بنيس** " أن وضع العناوين قد لا يكون من اختيار

الشاعر، فهو« لا يعتقد أن شوقي هو الذي تكفل بوضع العناوين والعناوين الفرعية على الأقل، كما أن محمد بن إبراهيم بريء من جميع عناوين قصائده المثبتة في الديوان، وقد لا يكون البارودي هو واضع العناوين والعناوين الفرعية لقصائده.. [خاصة] في غياب دراسات مختصة للنص الموازي »[ix] .

ولعل الدافع الذي ترك بنيس يحكم على عدم انتساب هذه العناوين لأصحابها، هو ربما لأنها مجرد اقتراحات، ينضاف إلى ذلك بعد ارتباطها عن النص المعنون، وقد يكون العنوان الحقيقي هو ذاك الذي اختاره صاحب النص كونه أكثر المدركين لعملية خلق أوصال الرحم بين الاثنين، وإذا كان العنوان بمثابة « الرأس للجسد »[x]، فوضع العنوان لقصيدة ما لم يعنونها صاحبها أمر في غاية الصعوبة .

فمهمة العنوان تبدأ منذ وضعه فإذا كان موضوعا على غير إبداع وجمالية فكيف له أن يكون مفتاحا؟ وكيف لقارئه أن ينجح في تأويله ؟ فاعتباطية العنونة تحقق مجالا مغلقا لا يستطيع القارئ أن يتحرك بين طرفيه لأن الحركة تكون معدومة .

والسؤال المطروح متى يضع الكاتب عنوان نصه ؟

يرى الغذامي أن « العنوان [هو] آخر ما يكتب من القصيدة »[xi]، وهذا دليل على خروجه عن النص بوصفه وحدة نصية مستقلة، إلا أنه يقول بعدم شاعرية العنوان كون الشاعر يظن أنه بوضعه للعنوان « يصلح القصيدة ؛ بينما هو يفسدها، إذ يطلق عليها أسلحة الواقع ومحسوساته، فيكدر صفاء العطاء الخيالي الذي انعتق لحظات من قيود الواقع المشحون بشروط خارجية متعسفة»[xii]، فهو يرى أن العنوان ما هو إلا فيروس يحاول قتل خلايا القصيدة بغزوها والتسلط على هلاميتها، وهو خارج عنها بانتمائه للمعقول، وهي بعيدة عنه بانتمائها للعطاء الخيالي .

ونجد عدنان حسين قاسم يستوقف الغذامي مطالبا إياه بنقطة نظام تكمن في تفسير دالتين : **الدالة الأولى :** تتمثل في استهلال الغذامي دراسته بتشريح العنوان على الرغم من غياب الشاعرية عنه .

أما الثانية : في اختياره لعنوان " **يا قلب مت ضمأ** "، الذي يتميز بتركيبة لغوية « صنعت منه عنوانا شاعريا يتصف بكل ما يتسم به الأسلوب الرومانسي من خصائص فنية، فهو خطاب

للقلب الذي هو سر الحياة »[xiii]، وهذه الشاعرية لا تتصف بها جميع العناوين، فهناك عناوين لكتاب على الرغم من شهرتهم الواسعة لا تتميز بالجمالية والإبداع .

ولعل الغذامي محق بعض الشيء خاصة مع أصناف العناوين المؤشرة التي سنشير إليها لاحقا، إلا أن رأي عدنان حسين قاسم يتجانس مع العناوين الدلالية والتي لها علاقة بالنص، أو ممتصة من ثنايا شرايينه .

وحين سألت لخضر فلوس عن طريقته في كتابه العنوان أجاب قائلا: « أنا لا أخطط لقصائدي، بل أتركها تختال كيفما أتفق وحين تستنفد كل شحنة أبقى متأملا ما الذي فعلته .. وهنا يأتي دور البحث عن العنوان، أما في بعض القصائد فقد كان العنوان هو أول شيء فيها، وكأن العنوان جزء أصيل من القصيدة ومفتاح مهم من مفاتيحها »[xiv]، والملاحظ أن الشاعر لا يختلف عن باقي الشعراء، لأنه يرى العنوان نتاج مخاض للنص أو خارجا عنه خاضعا للعقلانية .

2.2 قارئ العنوان :

لعل القارئ هو صاحب الفضل في نسف الغبار عن النص والعنوان معا، لذا فقد أصبح لبنة يقف عليها النص ويحقق بها وجوده لأن أي استقبال من القارئ لعمل ما يشتمل على اختيار لقيمته الجمالية مقارنا بالأعمال التي قرأت من قبل»[xv]

إذ تعد القراءة محاورة للنص، ومن ثمة « هي التشكيل الجديد لواقع مشكل من قبل هو العمل الأدبي نفسه »[xvi]، هذه المحاورة لها شروطها المعرفية والثقافية وتكون ناجحة بقدر مهارات الملتقي القرائية وأدواته المعرفية والإجرائية، فالقارئ الحقيقي هو الذي لا يتوقف عند قراءة العنوان، بل يستدرجه (العنوان) إلى تحقيق التقارب مع النص، ذلك لأن العنوان غالبا ما « يثير تساؤلات لا نلقى لها إجابة إلا مع نهاية العمل الأدبي »[xvii]، وهذا ما يجعل منه بؤرة القراءة الاستكشافية، إذ كيف للقارئ أن يتخلى عن سؤال يواجهه، ويبث فيه حيرة وقلقا يمكنانه من تشغيل قدراته وكل ما يمتلك ليفهم معلقات النص، ويستكشف مواطن الصمت فيه وأسباب المهملات، ويبين ما فيه من طاقات فكرية خصبة وتضاريس شفوية متدفقة واتجاهات إنسانية .

إن القارئ الذي يتخلى عن العنوان أو يتوقف عنده لا غير ما هو إلا قارئ متطفل، ويميز جنيت بين متلقي عنوان الكتاب ومتلقي الكتاب نفسه فيرى « أن العنوان يرسل نفسه إلى عدد من الأشخاص يفوق عدد الأشخاص الذي يرسل النص نفسه إليهم، وإذا كان النص عبارة عن غرض للقراءة، فان العنوان كاسم الكتاب عبارة عن غرض للإحاطة والاتصال »[xviii]، فالعنوان يقرأ من طرف الكثير من الذين لا يلجون إلى النص كبائعي الكتب، وباعتبار جنيت العنوان أكثر تلقيا فإنه « يتجاهل كون العنوان في الأدب جزءا لا يتجزأ من عملية إبداع الكاتب للعمل»[xix]. فتلقي العنوان دون تلقي نصه يعدّ قاصرا وعاجزا عن استكناه تشعبات هذا النص، فهو لا يمتلك رخصة للدخول إليه ومحادثته

ومثلما طرح التساؤل عن طريقة كتابة العنوان من طرف المرسل يطرح عن كيفية استقباله من طرف القارئ.

لعل تصدر العنوان للعمل الأدبي يجعل القارئ يقف عند بنيته السطحية مركزا على أهم ما تحمله هذه البنية من دوال قبل أن ينتقل إلى النص محاولا البحث عن البنية العميقة التفاعلية التي تربطه بنصه .

هذا الاتكاء على سند العنوان الذي « يمثل أعلى اقتصاد لغوي .. سيفرض أعلى فعاليه تلق ممكنة، حيث حركة الذات أكثر انطلاقا .. في تنقلها من العنوان إلى العالم والعكس، ونتاج هذه الحرية سوف تضبط الذات نفسها دلاليا باعتبارها مرتكزا تأويليا حين تدخل إلى العمل »[xx]، فالذات القارئة تستطيع اللعب الحر على دوال العنوان بينما حين تنتقل إلى النص يبدأ في أسر حريتها، فتصبح رهينة، إذا فمرسلة العنوان تتوقف على أطرافها الثلاثة وفق المخطط الآتي :

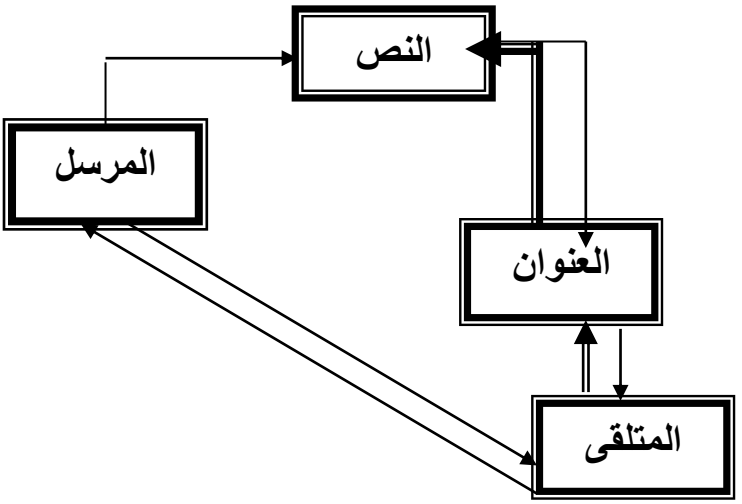

مخطط01 يظهر العناصر المتصلة بالمرسلة(العنوان)

فالمرسل ينتج النص الذي يساعده في إنتاج العنوان، بينما يقبض القارئ على العنوان أولا يفكك دواله متوصلا إلى مدلول النص المرتبط بالعنوان .

إنّ رحلة العنوان من بطن القصيدة إلى بطن الشاعر ثم بطن القارئ رحلة نوعية مبنية على مدى تحقق نصوصية النص ومقروئيته، على الرغم من أسرها للعنوان، إذ يتخلص من بطن ليلقى في أخرى بيد أن هذا الأسر هو ما يمنحه حرية أوسع ويبعده عن حيز مغلق كان سيلقى فيه، إذا تغلب جانب الفردية في إنتاجه وألغي صوت الثقافة في تفاعله الذي يتوالد في ذهن القارئ، وهذا ما يشير إلى أن « المؤلف والقارئ النموذجي هما استراتيجيتان نصيتان»[xxi] .

إن هذا الانتقال الذي يخلق التحرر يجعل العنوان منطلقا، وإذا انطلق صار إبداعا، وإذا كان إبداعا فإنه يتمكن من اعتلاء سلطة النص وفرض هيمنة عن أطراف الثلاثية (القارئ، المرسل والنص)، وبذلك تتحقق أهميته.

3.اختيار العنوان :

إن العنوان بمثابة منبع مائي يتهافت الجميع أمامه لأجل الحصول على الماء فيختلف أخذهم منه : فمن يأتي بيديه يغترف بهما دون حمل قطرة ماء معه مما يضطره ذلك إلى العودة من جديد، ومن يصل متأخرا لا يتمكن من الشرب فيضطر هو الآخر للعودة مرة

أخرى وقد يأتي من يغترف ويأخذ في وعائه ما يساعده على تحمل مشاق السفر. أولئك هم الأدباء وعلاقتهم بعناوين أعمالهم .

فقد يخلق الأديب من عنوانه لوحة مكثفة الظلال يعجز القارئ على تفسير مدلولها وقد لا يختار عنوانا لنصه فيتركه سابحا في فضاء رحب لا يملك القارئ هويته ولا يتعرف عليه، وقد يتخطى النص عازفا عنه ومنهم من يوفق في اختيار عنوان مناسب يستوقف عابريه .

فالعنوان قلادة تستهوي القارئ ليركب أهوال المغامرة محاولا خلق النص من جديد؛ لذلك عمد الكتاب على التركيز في اختيار عناوينهم واهتموا بقراءة أشعارهم، فكان وضعهم له آخر بصمة يضفونها على العمل الأدبي لقول الغذامي : « القصيدة لا تولد من عنوانها وإنما العنوان هو الذي يتولد منها »[xxii] .

وعلى الرغم من حرية المؤلف في اختيار عنوان عمله إلاّ أنه « خاضع بطريقة أو بأخرى إلى معايير معينة في الاختيار موقعيا وتركيبيا ودلاليا وتجاريا »[xxiii].

أما موقعيا : يتعلق بطريقة وضع العنوان على غلاف الكتاب وبالألوان المصاحبة له، ومكان وضعه وتعدده بين عنوان رئيس وآخر فرع .

أما تركيبيا : فيتعلق بالجانب اللغوي الذي يبدو في ظاهره أنه غير مشروط تركيبا بشرط مسبق، هذا الإبداع اللغوي في عنوان طه حسين " **الأيام** " وفي عناوين أخرى قام أصحابها بالاعتناء بها.

جماليا : يتعلق برمزية العنوان ومدى إنزياحه وطريقة تشكيله كتابيا والخط المستخدم في كتابته وجماليته الإيقاعية، وعلامات الوقف المبرزة لوظيفته .

أما دلاليا : فقد فصل فيه صلاح فضل عندما أشار إلى أن العنوان قد يحمل ذاتية مباشرة تحيل إلى شخصية أو شخصيات محورية مثل " **دون كيشوت** " أو إلى مكان معين، زمان أو حدث أو أساطير موظفة في النص، فالعنوان يبنى على أساس البنيات الفكرية والثقافية التي يدخرها المؤلف فإذا كانت هشة جاء العنوان مختلا دلاليا لا يتوصل إلى الرسم التعبيري لما يحتويه العمل والعكس في العنوان المبني على لبنة صلبة . **أما تجاريا :** فيتعلق بالعناوين الاشهارية التي توضع للإغراء والدعاية والذي يعتمد على عديد من المظاهر الاقتصادية والجمالية والعلوم ..

وطالما كان اختيار العنوان في نظر الكاتب أصعب من خلق القصيدة، فإن " **محمد شكري** " يتحدث عن صعوبة اختيار العناوين إذ يقول « الصعب عندي قد يكون، في اختيار عنوان مناسب حين انتهائي من نص. إن العنوان ينبغي أن يكون مثل عرف الطاووس أو ذيله »[xxiv]، ولأهمية العنوان وجماليته الفنية التي تحسن شد القارئ دخل في كونه « أشبه ما يكون بالطعم الفني الذي يستدرج ... القارئ لاصطياد حواسه »[xxv]، وهو أيضا مفتاح يستعمله القارئ للولوج إلى النص، فلا بد من اختياره بدقة وعقلانية كبيرة لفك الشفرات التي تشكل النص.

وتعترف القاصة **رقية كنعان** بمعاناتها في اختيار العنوان بقولها « أيقونة العنوان مشكلة يعاني منها البعض وأنا أحدهم »[xxvi]، وهذه الصعوبة والعسر تتولد خوفا من توقعات القارئ وعدم تقبله للعنوان .

وقد يخلق الصراع النفسي والعجز الإبداعي اضطرابا في اختيار العنوان فيكون مطولا رغبة في إزالة الغموض وإراحة المتلقي، أو تغطية لهذا العجز.

ويورد **جاسم الصحيح** دافع التوفيق في اختيار العنوان وكتابته قائلا :« إن كتابة العناوين توفيق إلهي خاص قد يفشل فيه حتى المبدعون بينما ينجح غير المبدع »[xxvii]، وربما يكون اختيار العناوين خاضعا للموروث الثقافي لدى المؤلف، إذ يقول **القاص عبد الله** النصر : إن اختيار العنوان « يركز على الخبرات السابقة لدى المبدع لأنه من الطبيعي أن يشكل جزء من الإبداع الذي يوجده الكاتب »[xxviii] .

ويرجع الدكتور " **علي جعفر العلاق** " التوفيق في اختيار العنوان إلى أسباب عدة في قوله: « إن الشاعر حين يختار عنوان قصيدته أو ديوانه، فإنما يستجيب لقوة داخلية غامضة تملي عليه هذا الاختيار دون وعي منه وهو قد يختار هذا العنوان أو ذاك بدوافع ثقافية أو إيقاعية أو تركيبية تتصل ببنية النص، أو تستدعي أصداء لعناوين خارجية أخرى، وأحداث بعيدة موحية»[xxix] فدوافع اختيار العنوان ترتكز على موروث المؤلف دليلنا إلى ذلك مجموع الالتصاقات التي حققتها العنونة مع المحيط والحياة مقلبة صفحات التاريخ ومتجاوزة له حتى أنها أصبحت « مركزا للتفاعل والمواجهة مع الواقع المظلم »[xxx]، وقد تكون إلهاما خياليا غير خاضع للعقلية مطلقا وقد تخرج إلى دائرة الواقعية لتتفاعل مع غرض

النص، وقد يختار بعض المؤلفين عنوانا تلميحيا إشاريا إذ يتعمدون غموضه سعيا وراء تسليط لذته الإغرائية.

وهناك من يسند العناوين إلى المذاهب الأدبية كما فعلت " **نسيمة الغيث** " إذ ربطت عنوان الشاعر القصبي " **أنا وحدي** " بالرومانسية وتورد الكاتبة عناوين مختلفة تظهر مدى صحتها وارتباطها بالنص مثل : قصة " **دنيا الله** " لنجيب محفوظ التي ترى ارتباطه بمتن القصة، فنجده « مجسدا في لحظة التنوير حينما يتم القبض على عم إبراهيم في الإسكندرية بعد أن صرف الفتاة وأصبح علي الله لا يملك المال »[xxxi]، أو خروجها عن نطاق النص إلى سبيل آخر مثلما هي الحال في عنوان " **المدينة في الشعر العربي المعاصر**" للدكتور مختار أبو غالي إذ تقول : « إن العنوان قد تسللت إليه صفحات مملوءة بذكر القرية وهي خارج الموضوع ما لم تكن انبعاثا مباشرا عن المدينة »[xxxii].

وقد تحدث " شكري عياد " في كتابه مدخل إلى علم الأسلوب « عن الحيل الطريفة في استخدام العنوان، ويضرب أمثلة من الشعر العربي والإنجليزي والفرنسي « فيمثل للشاعر الإنجليزي الكلاسيكي جون ملتون "**John Milton**" في اختياره عنوانا كلاسيكيا في رثائه لصديق له فاستمد صوره من الأساطير اليونانية، ليكسب الحادثة جلالا يرتفع بها عن المظاهر المبتذلة الفجيعة»[xxxiii]، ويورد الكاتب مثالا آخر لتوضيح كيفية سعي المؤلف وراء العنوان الإبداعي ، « صلاح عبد الصبور في قصيدته " **مرثيات** " »[xxxiv]، ثم ينتقل إلى النص الروائي عند « نجيب محفوظ في روايته " **السمان والخريف** " »[xxxv].

ويرى " عدنان حسين قاسم " أن الغرض من إدراج الكاتب لهذه الأمثلة عن اختيار العنوان هو الكشف عن خصوصية تركيباته وأنواعه وطرائق توظيفه كما أنه أراد توضيح مدى ارتباط العنونة بالتجربة القرائية لدى الكاتب.

ويقول : طه حسين معلقا على عنوان " **رواية زقاق المدق** " لنجيب محفوظ « إن المتلقي لا يكاد يسمعه وينطق به حتى يتبين أنه يقبل على مؤلف يصور جوا شعبيا قاهريا خالصا»[xxxvi]، وهذا العنوان يوشك أن يجسد موضوع القصة وبنيتها إذ يرتبط بالبيئة والحي الشعبي المعبر عنه. هذا الارتباط بين النص والعنوان يكمن أيضا في قصيدة " **خربشات**

طفولية " للشاعر نزار قباني إذ ترتسم صورة الخربشات « في الكتابة، والورق ، ورسم كراستي »[xxxvii]، الموجودة في النص لتقاسم المدلول الأول .

وتعرض الكاتب جعفر العلاق لدراسة العنوان دراسة معمقة، إذ يقف على العنونة في ديوان " **ثمالات**" للشاعر سليمان العيسي متسائلا عن الغاية من اختياره في قوله : « هل أراد الشاعر.. أن يقبض آخر الأضواء، أو آخر الشرارات وهي تتساقط من أحلامه الغاربة ؟ أم أنه أراد الاحتفاء ببقايا هذه الأحلام أو ثمالتها ؟ »[xxxviii]، هذه الأسئلة التي أثيرت من طرف الكاتب جعلته يلج النصوص بغية استجلاء خباياها فراح يقلب شعرية قصائد الديوان ويتوقف عند كل عنوان يثيره معلقا على مدى فعاليته .

والمتتبع لمسيرة اختيار العناوين في الأدب العربي يجدها مرتبطة بمطالع القصائد في بدايتها، أما في النصوص النثرية فقد عرفت اهتماما واسعا، إذ يذكر المؤلف سبب تسمية الكتاب باسمه وظروف هذه التسمية ومدى ارتباطها بالمضمون كما فعل ابن خلدون في مقدمته لقوله: « ولما كان مشتملا على أخبار العرب والبربر، من أهل المدن والوبر، والإلماع بمن عاصرهم من الدول الكبر، وأفصح بالذكرى والعبر.. سميته كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر »[xxxix].

في حين أصبحت العناوين اليوم تحضى باهتمام أوسع، إذ تفرد لها صفحة حرة فتناقش قبل تحليل النص وقبل كتابة المؤلف وهو الملاحظ في عمل عبد العزيز حمودة " **المرايا المحدبة** " إذ يتحدث عن سبب اختياره لهذا العنوان في قوله : « ليس من باب المحاكاة أو مسايرة الغير، خاصة أن صورة المرآة حظيت باهتمام واضح في الدراسات الأدبية في النصف الثاني من القرن العشرين لكن ما حدث أن العنوان فرض نفسه علي فرضا في مرحلة محددة من مراحل الإعداد لهذه الدراسة »[xl]، فعنوانه لن يأتي اشتقاقا أو موضة، ولكن كما يقول : « بدأت عملية كتابة المسودة الأولى دون أن أستقر على عنوان مناسب فجأة في مرحلة ما من الكتابة، فرضت فكرة المرايا المحدبة والصور التي تعكسها نفسها علي فرضا، وحينما حدث ذلك لم أستطع الهروب »[xli]. فالعنوان أوجد نفسه نتيجة هذه المناهج التي أسرتنا بطعمها دوما وضخمنا طبيعتها فقمنا نسايرها دون أي تساؤل عن مدى ملاءمتها للنص العربي

ومن الطريف قصته التي أوردها في كتابه " **المرايا المقعرة** " عن قارئ لامه لسوء اختيار عنوانه الذي يفتقر إلى الدقة العلمية « فالمرايا المحدبة تعبير خاطئ إذ إن هناك عدسات محدبة»[xlii]، فيرد عليه قائلا :« ها أنا ذا أطمئن القارئ الحريص على الدقة العلمية .. بأن هناك مرايا محدبة وعدسات محدبة »[xliii] .

ولعل الابتعاد عن التقليد هاجس يهابه كل أديب فهذا عبد الملك مرتاض في عنوانه "**ألف ياء**" تحليل مركب لقصيدة " **أين ليلاي** " لمحمد العيد يقول : « ونحن حين جئنا نحلل نص محمد العيد آل خليفة أين ليلاي أينها ؟ تأوبتنا جملة من العناوين التقليدية لنعلقها عنوانا على ما كتبنا عنه، غير أنه وعلى غير الدأب لم نستحكم إلى أي منها وآثرنا هذا العنوان المؤلف من حرفين اثنين .. مع إضافة عنوان فرعٍ يكشف عن مضمون الكتاب »[xliv] .

ولعل سبب هذا الهروب هو عزوف القارئ عن محاورة العناوين المتكررة لاسيما وأنه كان قد توقف أمام العنوان وأدرك جل ما يحمله من معاني وغاص بين فلقتيه يبحث عن رشيمه ليبعث فيه حركة نمو سريعة .

ولن نصرف النظر عن العناوين المترجمة ترجمة غير دقيقة و التي تسببت في انحراف دلالة العنوان و أخذه إلى مسلك غير الذي كان يسلكه و التي يشير إليها الأستاذ محمود عبد الوهاب في كتابه " **ثريا النص .. مدخل لدراسة العنوان القصصي** "، في قوله : « إن أمثلة انحراف دلالة العنوان الأصلي عن مجالها بسبب الترجمة ليست بالقليلة منها ترجمة قصة " بالشقيقات بينما تصور القصيدة حياة امرأتين اثنتين »[xlv] ، ومن ثمة يعاتب **The Sisters**" الباحث نظام الترجمة الشكلية ويطالب بعدم تهميش العنوان لأنه ذو دور فعال في عملية التأويل .

هكذا يبقى البحث عن العنوان الصحيح خاضعا لاهتمام الكتاب وإدراكهم لاسيما وأن العنونة أصبحت علما قائما بذاته وأثرا يسعى القراء لتتبعه والوقوف على أطلاله. لذلك يشير الباحث **خالد الأنشاصي** إلى عناوين مهمة جلبت انتباه القراء وأحدثت في الساحة ضجتها وتمكنت من شد الأذهان والأسماع فصاحبتها كتابات نقدية« مثل كناسة الدكان ليحي حقي، ثرثرة فوق النيل لنجيب محفوظ، موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح، أحلام الفارس

القديم لصلاح عبد الصبور وغيرها من العناوين التي لا تسقط من الذاكرة .. ولا تسعى إلى إثارة في غير محلها »[xlvi].

وأيا كان الأمر فالمؤلف لا يختار عنوانه اعتباطا بل يقصد من ورائه مزيدا من الدلالات التي تسهم في فك طلاسم الرمزية عن نصه، وحين سألت " الشاعر الأخضر فلوس " عن كيفية اختيار العنونة ومدى صعوبتها أجاب: « الاختيار عادة لا يكون واعيا وإنما هو جزء أصيل من النص، وبكل تأكيد فإنه يخضع لاعتبارات ثقافية وما يتعلق بالأساس الآني ولكن هناك بعض النصوص والعناوين التي لا تخضع إلى هذا المعيار، بل تكون وليدة التفكير الواعي العقلاني»[xlvii]، واستمر يلخص صعوبة العنونة قائلا : « بعض العناوين جزء من القصيدة تكون صعبة في اختيارها؛ لأنها جزء من الإبداع أما العناوين الأخرى فتبنى على العقل الواعي فهي أقل صعوبة»[xlviii] .

وبهذا ندرك مدى اهتمام الكتاب بالعنوان وتنويعه من الرمزي إلى المجازي والشاعري و الأسطوري والتاريخي ليحفظ بعيدا عن مزبلة النسيان، ويساير الحداثة ويتعالق بالتراث الإنساني الذي لا يزال يلتصق بفكر القارئ .

- ما دام العنوان رأسا لجسد القصيدة فإن الفراغ القابع بينهما إنما يمثل عنق ذلك الجسد ويحقق التواءاته « فالنص الذي لا يلتوي عنقه يكون نصا متخشبا يابسا يسير على خط واحد متحجر لا يقوى على الالتفات يمينا أو شمالا »[xlix] .

4.خاتمة: صفوة القول فيما قيل آنفا نجمله في النتائج الآتية:

- العنوان صيغة بيد الكاتب، يستطيع به محو عمله أو إثباته، إنه وثيقة شرعية تنتمي لصاحبها ولنصها. وهو صورة أساسية متكاملة على المتلقي فهم ما ترمي إليه؛ لضمان التفاعل مع جمالية النص .
- تمارس العنونة سطوتها في استدراج القارئ نحو النص فلا تترك له مجالا لإغفال مدلولاتها التي تسهم في توضيح خصوصية النص وإستكناه معارفه وفك مغالقه.
- يدفع العنوان بالقارئ إلى التساؤل والغوص في المجرة النصية، بحثا عن الجواب الغائب ضمن إمكانات التفسير لتبقى المدلولات الأخرى في النص تنتظر الإشارة، كونه لا يعطي معاني وإنما يقترحها .

- اختيار العنوان يخضع لمعايير مختلفة تمكنه من إفراغ إفرازاته الإغوائية لإيقاع القراء في شركه

5. الهوامش:

[i] خالد حسين حسين: في نظرية العنوان- مغامرات تأويلية في شؤون العتبة النصية، دار التكوين للتأليف، سوريا، دمشق، 2007،ص15-16.

[ii] الطيب بودربالة: قراءة في كتاب سيمياء العنوان لبسام قطوس، محاضرات الملتقى الوطني الثاني، السيمياء والنص الأدبي 15-16 أفريل، 2002، منشورات جامعة محمد خيضر، بشكرة، شركة دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص 29

[iii] عمر أوكان : لذة النص أو مغامرة الكتابة عند رولان بارت، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ص : 61

[iv] عبد الله محمد الغذامي : تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر الدار البيضاء، ط1، 1999 ص : 147.

[v] م ن ، ص : 149 .

[vi] محمد فكري الجزار : العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي ، ص 19.

[vii] الحبيب شبيل : من النص إلى سلطة التأويل، مجلة الفكر المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، جوان 1991، ص : 92 .

[viii] عبد الناصر حسن محمد : نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، د ط، 1999، ص : 55 .

[ix] محمد بنيس : الشعر العربي الحديث، بنيته وإبدالاته – 1 التقليدية، ص : 106 .

[x] محمد مفتاح : دينامية النص تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1990، ص : 72 .

[xi] عبد الله محمد الغذامي : الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، ص : 261 .

[xii] م ن ، ص : نفسها .

[xiii] عدنان حسين قاسم : الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر، ط 2، 2001 ص : 327 .

[xiv] في حوار مع الأخضرر فلوس : مكالمة هاتفية، يوم : 2005/10/24، على الساعة : 10.00

[xv] صلاح فضل : مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب ط1، 2002، ص،121،120 .

[xvi] 2 رولان بارت : نقد وحقيقة، ترجمة منذر العياشي، مركز الإنماء الحضاري، بيروت، ط1، 1994، ص : 94 .

[xvii] ابن مالك رشيد : السيميائية بين النظرية والتطبيق رواية نوار اللوز نموذجا، أطروحة دكتوراه بإشراف وسيني الأعرج، جامعة تلمسان، 1994، ص : 296 .

[xviii] نريمان الماضي : العنوان في شعر عبد القادر الجنابي، أطروحة مقدمة لنيل اللقب الثاني في الأدب، بإشراف رؤوين سنير جامعة حيفا، سبقت الإشارة إلى الموقع .

[xix] المرجع السابق .

[xx] محمد فكري الجزار : العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي، ص : 10 .

[xxi] أمبرتو إيكو : القارئ في الحكاية (التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية)، ترجمة أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1996، ص : 17،

[xxii] عبد الله محمد الغذامي : الخطيئة والتكفير، ص : 261 .

[xxiii] خليل شكري هايس: شارع الأميرات والبئر الأولى، ينظر الموقع : http://www.awu- dam.org//book/01/study01/103-h-s/book01-sd.004htm تاريخ الدخول : 2006/02/22 .

[xxiv] أحمد اللهب الرياض : قراءة في عنونة الديوان عند عبد الله زيد، ينظر الموقع : http://www.al-jazirah.com-sa/culture/28022005/madak43.htm.

[xxv] فوزي عيسى : تجليات الشعرية، قراءة في الشعر المعاصر، منشأة المعارف الإسكندرية، 1998، ص : 65 .

[xxvi] رقية كنعان : في البحث خطأ، حسر الثقافة : انظر الموقع:forum.amrkhalad.net/show/thread.php?t=1326 8c page=2-613k

تاريخ الدخول 24/ 09 / 2005 .

[xxvii] عوضة الزهراتي وجعفر الجشي : العنوان بين وسيلة الإثارة وضرورة العملية الإبداعية، شبكة جسر الثقافة، سبقت الإشارة إلى موقع جسر الثقافة .

[xxviii] نفسه.

[xxix] علي جعفر العلاق : الدلالة المرئية قراءات في شعرية القصيدة الحديثة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002، ص : 55 .

[xxx] مجموعة من المؤلفين : سلطة النص في ديوان البرزخ والسكين للشاعر عبد الله حمادي ، ص : 273 .

[xxxi] نسيمة الغيث : من المبدع إلى النص، دراسات في الأدب والنقد، ص : 215 .

[xxxii] 2 م ن ، ص : 107 .

[xxxiii] عدنان حسين قاسم، الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، ص : 290 .

[xxxiv] م ن ، ص : 290 .

[xxxv] م ن ، ص : 293 .

[xxxvi] دفة بلقاسم : علم السيمياء والعنوان في النص الأدبي، محاضرات الملتقى الوطني الأول السيمياء والنص الأدبي، ص: 42

[xxxvii] المرجع السابق ، ص : 43 .

[xxxviii] علي جعفر العلاق : الدلالة المرئية، قرارات في شعرية القصيدة الحديثة، ص : 58 .

[xxxix] عبد الرحمان بن خلدون : المقدمة ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص : 15 .

[xl] عبد العزيز حمودة : المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، ص : 7 .

[xli] م ن ، ص : 7 .

[xlii] عبد العزيز حمودة : المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، المجلس الوطني القومي، الثقافة والفنون والآداب الكويت، د ط، 1998، صفحة الهامش .

[xliii] م ن ، الصفحة نفسها .

[xliv] عبد المالك مرتاض : أي تحليل مركب لقصيدة (أين ليلاي) لمحمد العيد آل خليفة، دار المغرب للنشر والتوزيع وهران، د ط، 2004، ص : 14 .

[xlv] عصام العسل : قراءة في شعرية العنوان ينظر الموقع : www.MOASER.NET/VB/Shnowth تاريخ الدخول 24.10.2005 .

[xlvi] خالد الأنشاصي : آراء حول رواية بنات الرياض لرجاء عبد الله الصانع سبقت الإشارة إلى الموقع : http//www.edaeat-net/Nb /showth read.php? t = 2302 ، تاريخ الدخول : 20-02-2006

[xlvii] في حوار مع الشاعر الأخضر فلوس، مكالمة هاتفية يوم : 06/03/27، على الساعة 35 :1 دقيقة، مدينة سيدي عيسى.

[xlviii] نفسه

[xlix] جميل حمداوي : السيميوطيقا والعنونة، ص : 98 .

6. قائمة المصادروالمراجع:

المؤلفات

1- ابن مالك رشيد : السيميائية بين النظرية والتطبيق رواية نوار اللوز نموذجا، أطروحة دكتوراه بإشراف وسيني الأعرج، جامعة تلمسان، 1994 .

2- أمبرتو إيكو : القارئ في الحكاية (التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية)، ترجمة أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1996.

3- خالد حسين حسين: في نظرية العنوان- مغامرات تأويلية في شؤون العتبة النصية، دار التكوين للتأليف، سوريا، دمشق، 2007.

4- رولان بارت : نقد وحقيقة، ترجمة منذر العياشي، مركز الإنماء الحضاري، بيروت، ط1، 1994.

5- صلاح فضل : مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب ط1، 2002.

6- عبد الرحمان بن خلدون : المقدمة ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط1، 2004.

7- عبد العزيز حمودة : المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، المجلس الوطني القومي، الثقافة والفنون والآداب الكويت، د ط، 1998 .

8- عبد العزيز حمودة ، المرايا المحدبة من البنوية إلى التفكيك، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د ط)، 1998 . .

9- عبد المالك مرتاض : أي تحليل مركب لقصيدة (أين ليلاي) لمحمد العيد آل خليفة، دار المغرب للنشر والتوزيع وهران، د ط، 2004.

10- عبد عبد الناصر حسن محمد : نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، د ط، 1999.

11- عدنان حسين قاسم : الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر، ط 2، 2001 .

12- عبد الله محمد الغذامي : الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية. الخطيئة والتفكير النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1985 .

13- عبد الله محمد الغذامي : تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر الدار البيضاء، ط1، 1999..

14- علي جعفر العلاق : الدلالة المرئية، قرارات في شعرية القصيدة الحديثة. الدلالة المرئية قراءات في شعرية القصيدة الحديثة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د ط)، 2002 .

15- عمر أوكان : لذة النص أو مغامرة الكتابة عند رولان بارت، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1997.

16- محمد بنيس : الشعر العربي الحديث، بنيته وإبدالاته – 1 التقليدية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2001 .

17- محمد فكري الجزار : العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، ط1، 1998

18- محمد مفتاح : دينامية النص تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1990.

الملتقيات:

1- دفة بلقاسم : علم السيمياء والعنوان في النص الأدبي، محاضرات الملتقى الوطني الأول السيمياء والنص الأدبي، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، منشورات الجامعة في : 7-8 نوفمبر 2000.

2- الطيب بودربالة: قراءة في كتاب سيمياء العنوان لبسام قطوس، محاضرات الملتقى الوطني الثاني، السيمياء والنص الأدبي 15-16 أفريل، 2002، منشورات جامعة محمد خيضر، بشكرة، شركة دار الهدى، عين مليلة، الجزائر

المو اقع الالكترونية:

1- خليل شكري هايس: شارع الأميرات والبئر الأولى، ينظر الموقع : http://www.awu- dam.org//book/01/study01/103-h-s/book01-sd.004htm تاريخ الدخول : 2006/02/22

2- خالد الأنشاصي : آراء حول رواية بنات الرياض لرجاء عبد الله الصانع سبقت الإشارة إلى الموقع: http//www.edaeat-net/Nb /showth read.php? t = 2302، تاريخ الدخول : 20-02-2006 .

3- عصام العسل : قراءة في شعرية العنوان ينظر الموقع : www.MOASER.NET/VB/Shnowth ، تاريخ الدخول 24.10.2005 .

4- أحمد اللهب الرياض : قراءة في عنونة الديوان عند عبد الله زيد، ينظر الموقع : http://www.al-jazirah .com-sa/culture/28022005/madak43.h

5- نريمان الماضي : العنوان في شعر عبد القادر الجنابي، أطروحة مقدمة لنيل اللقب الثاني في الأدب، بإشراف رؤوين سنير جامعة حيفا، https://elaph.com/Web/ElaphLibrary/2005/12/115872.html

الحوارات:

1- حوار مع الشاعر الأخضر فلوس، مكالمة هاتفية يوم : 06/03/27، على الساعة 35 :1 دقيقة، مدينة سيدي عيسى.